أزمة المواجهة في النص الشفاهي – قراءة في النص الأدبي القديم

The Crisis of Confrontation in the oral text Reading in the ancient literary text

د. ايمان خليفة حامد الحيالي
أستاذ مساعد
جامعة الموصل– كلية التربية للعلوم الانسانية– قسم اللغة العربية

Dr. Iman Khalifa Hamed Al-Hayali
Assistant professor
University of Mosul- College of Education for Human Sciences- the department of Arabic language

alhineeman@uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام ٢٠٢٢/١/٤
تاريخ القبول ٢٠٢٢/١/١٨

الكلمات المفتاحية: أزمة النص، النص الشفاهي، الخطبة

Keywords: text crisis, oral text, sermon

الملخص

لعل دراسة النص العربي القديم على درجة عالية من الحساسية لحجم الاشكاليات التي اتسم بها، ولعل اولها أزمة الشفاهي والمكتوب، والتي سنقف عندها في مقدمة البحث التنظيرية، أمّا عن فكرة البحث فإنّها تحاول طرق باب عدد من النصوص القديمة التي بدت صورة العجز عن مواجهة الموقف فيها واضحة والتي عبرنا عنها بقولنا (أزمة المواجهة)، وتمثلت في عدة مواقف ستكون وقفتنا التحليلية منها اختيارية نظرا لضيق مجال البحث الواحد لذكرها واتساع دائرة الحديث عنها وتنوع النصوص بين شعر ونثر، وهي عموما لا تبتعد عن دائرة النص الأدبي القديم ومن هذه المدونات ما رأيناه من كتب التاريخ والسيرة والأدب والتراجم والانساب، وهي صلب المادة التي استقرأناها والتي منها جمعنا عينة بحثنا هذا.

Abstract

Perhaps the study of the ancient Arabic text is highly sensitive to the size of the problems that characterized it, perhaps the first of which is the oral and written crisis, which we will stop at the introduction to the theorizing research. It is clear, which we expressed by saying (the confrontation crisis), and it was represented in several situations, of which our analytical stance will be optional due to the narrow scope of one research to mention it and the wideness of the discussion about it and the diversity of texts between poetry and prose. The books of history, biography, literature, translations and genealogy, which are the core of the material that we have extracted and from which we collected the sample of our research.

مدخل إلى قراءة النص:

تعددت القراءات الأدبية للنص الأدبي القديم لاسيما شعره إلا أنَّ نثره افتقر إلى الاهتمام الذي يليق به أسوة بنظيره الشعري، من هنا جاءت رغبتنا الأكيدة في التعمق للبحث عن المدلولات الأدبية والجمالية للنص النثري رغبة منا في الكشف عن مكنوناته الأدبية. وفي ظل تلك القراءات سلطنا الضوء في دراستنا الحالية على النص الشفاهي ولا يخفى علينا أن المدونات الأدبية التي وصلت إلينا من العصر الأدبي القديم جميعها تنتمي في أصل نشأتها إلى النص الشفاهي لاسيما أنَّ العرب لم يعهدوا الكتابة في تلك العصور.

ومن هذه المدونات ما رأيناه من كتب التاريخ والسيرة والأدب والتراجم والأنساب، وهي صلب المادة التي استقرأناها والتي منها جمعنا عينة بحثنا هذا.

يقتضي النص الشفاهي بالضرورة جمعاً من الحضور والمتلقين ،ولأنَّ المشهد الذي يتولّد عن هذا اللقاء أصبح محض ماضٍ انتهى لذلك يغيب عنّا المشهد ،وتتوارى الصورة ولا يبقى أمامنا في هذه المدونات سوى الاشارات التي سنحاول، بل حاولنا جمعها من بطون كتب الأدب ،وقمنا بسبر أغوارها في محاولة منّا لتصوير ذلك المشهد المحذوف أو المطوي المنسي في عمق الماضي، ومن هذه الاشارات ما نقله أو أضافه راوي النص لتوضيح أو عرض نصِّه في الكتب سيرةً كانت أم تفسيراً أم أدباً ،لذا لن نقف عند النص وحدّه ،وإنّما سنتابع الاحالات السابقة له في محاولة منّا لربط تلك الاحالات بما آل إليه النص ،والصورة التي جاء عليها ،وتبعاً لذلك فإنَّنا سنرى في نصوص البحث وقفة للنص الشفاهي بين التاريخي والنفسي، فالتاريخي سجَّل لنا حالة نصية أضاف الراوي ما يوضحها واضعاً بصمته الشخصية في تحليل المواقف التي قد لا تكون مبنية على أساس حقيقي في حقيقة أمرها ،ولا يخفى علينا أن التاريخ كان محض مدونة شفاهية ،فهو بذلك قد يجني على الكثير من الأشخاص ويشوِّه العديد من الحقائق التي كانت في أصل نشأتها وجهة نظر الراوي ما لبثت تحت لعبة التاريخ أن استحالت حقيقة تتداولها الناس ،وهو جزء من أعباء الشفاهية التي تركت أثرها الواضح في الثقافة العربية عامة بكل جوانبها الأدبية والتاريخية والسيرية، و((لم تكن الشفاهية نظاماً طارئاً في الثقافة العربية، بل كانت حضناً نشأت فيه كثير من مكونات تلك الثقافة، في مظاهرها الدينية والتاريخية واللغوية والأدبية))[1].

(١) النثر العربي القديم بحث في ظروف النشأة وأنظمة البناء، الدكتور عبد الله إبراهيم، جامعة السابع من أبريل، بنغازي، ط١ ،١٤٢٥م :٣٥.

أما النفسي فهو غاية وقفتنا التي سنسعى من خلالها إلى قراءة النص الشفاهي التاريخي الذي استحال إلى مدونة تاريخية مكتوبة قراءة نفسية نتابع من خلالها نبرة المتكلم في كلامه مسجلين بذلك رغبتنا الحقيقية في تثبيت ما أحسسنا به من أنَّ هناك أزمة مواجهة يقع فيها مبدع النص الشفاهي.

إنَّ التمسك بالنص في روايته التاريخية قد يوقعنا في أمور ومحاذير لاسيما أنَّها تقدم هذه الوقفة على أنَّها حقيقية التصقت بقائلها ،واقترنت به حتى عُدَّت سلوكاً وديدنا، من ذلك ما نقلته كتب السيرة والشمائل والتفسير والأدب عن شخصية عثمان بن عفان (ﷺ) يقول الزمخشري في كشافه :((وعن عثمان(ﷺ) أنه صعد المنبر، فقال : الحمد لله وأُرْتِجَ عليه ، فقال : إن أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً ، وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوّال ، وستأتيكم الخطب))[١] ، وهو النص الذي اقترن بتوليه الخلافة (نص البيعة) ولعلنا لا نميل إلى تثبيت حقيقة قدر ما نعنى بمحاورتها، فقد جاء النص نفسه على لسان غير واحد من الأعلام في الكتب السالفة الذكر.

وهو ما ألمحنا إليه من أنَّ التاريخي يتحكم بالنص الشفاهي، فقد ينقل النص ما لم يقله صاحبه، لا سيما وأنَّ التاريخي يرتبط بالعقلاني على وفق نظرة الفلاسفة في عدِّ التاريخ حركة عقلية[٢]، ونحن بذلك إزاء ما يشبه عمل رجل الحديث الذي ينبغي عليه أن يقوِّم بالجرح والتعديل لتغيير مسار رؤية النص والبحث عن مرتكزات نصية تحدد ذلك المسار.

مصطلحات توضح غاية البحث:

في مسيرة قراءتنا لتلك النصوص تبين لنا أن هناك أزمة قد يقع فيها مبدع النص، ولا يتعارض مفهوم الإبداع مع مفهوم الأزمة، لأنَّ الأخيرة لن تنهيَ ابداعه ولا تكشف عن عدم تمكنه إنَّما هي لحظة من لحظات النفس البشرية اقترنت معها هذه الوقفة التي ولَّدت أزمة آنية اسكتت مبدع النص.

أمَّا نص الخطبة، فقد عرض هذه الحالة الإنسانية للخطيب واصفاً إيَّاها بقولهم : (أُرْتِجَ عليه المنبر)، وهي صورة انسانية اتقنت اللفظة المعجمية التعبير عنها.

---

(١) الكشاف: ٤ / ٥٣٥.

(٢) ينظر: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، د. احمد بسام ساعي، ط١، دار المنارة السعودية . ١٩٨٥م:١٩.

إنَّ النص الشفاهي شعراً كان أم نثراً تتفق فيه صورة مشهد كامل يؤطر ما جاء عند ياكوبسون في خطاطته الشهيرة القائمة على عناصر التواصل بين المرسل (الباث) والمرسل إليه (المتلقي)[١] ،ففي النص الشفاهي يكون الطرفان كلاهما موجودين "أنا أتكلم وأنت تصغي" فلا تغيب أمام ناظريهما نظرات التواصل التي تشكل الشفرة المتفق عليها بينهما فتمضي ذبذبات الصوت والمقاطع والحروف من المرسل لتستقبلها أجهزة التلقي (الأذن) والاصغاء والتأمل لدى المتلقي ، وفي هذه الاجواء المتتابعة تتم عملية التواصل بعد الاتفاق على اللغة ذاتها بلا شك، إنّ اكتمال عملية التواصل تشكل تكامل المشهد الصوري الذي ينتجه النص الشفاهي، وإن أي خلل في عنصر من العناصر يؤدي إلى عرقلة التواصل وضياع الشفرة وعدم تحقيق غاية المرسل وهدف الرسالة ، واحدى تلك المعرقلات أن يصاب المرسل بسكتة وليست هي السكتة العلمية الطبية إنما هي وقفة تضيع من أمام المرسل وذاكرته مفرداته المعجمية ويحال النص إلى عالم من الشتات والضياع، ورب سائل يسأل عن كيفية فهمنا لهذا الموقف لاسيما أن الحقب التاريخية قد أبعدتنا عنه؟! أقول إن ما يسبق النص من إشارات تاريخية هي التي تؤكد هذه الوقفة من ذلك ما جاء في كتاب المجالسة وجواهر العلم قوله: ((استعمل أبو بكر الصديق (ﷺ) يزيد بن أبي سفيان على ربع من أرباع الشام فلما صعد المنبر أُرْتِجَ عليه، فقال: يا أهل الشام عسى الله أن يجعل بعد عسر يسرا، وبعد عي بياناً، واعلموا أنكم إلى امام عاقل أحوج منكم إلى امام قائل، ثم نزل فبلغ ذلك عمرو بن العاص، فاستحسنه))[٢]، وبعيداً عن حقيقة النص وما جاء ذكره في بطون الكتب، فإننا سنحاول عرض النص كما وقفنا عليه.

ان قائل النص (مبدع) فهو من أمة أوتيت طلاقة اللسان وفضلت على غيرها بذلك، لكن اللحظة التاريخية أو الحدث التاريخي القى بوطأته على "المبدع" فأسكته، فالاستعمال: استعمله أوكل اليه مهاما سيثقل كاهله، وهذه المهام تهيئ أمامه كل صور الابتلاء والاختبار وبذل الجهد الممكن وربما المثالي، وهنا في هذه اللحظة التاريخية التي نالت من (يزيد) ما كان امامه سوى أن يتداركها عبر المرتكزات الأساسية للخطبة

(يا أهل الشام) = جمع الحضور المتلقين = المواجهة معه

عسى الله أن يجعل بعد عسر يسراً = لحظة الصدمة السريعة

---

(١) ينظر: قضايا الشعرية، رومان ياكوبسون ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون ، ط١ ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء . المغرب ، ١٩٨٨م : ٣٣.

(٢) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت : ٣٣٣هـ)، تح:أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، ١٤١٩هـ:٣/٤١٤.

وبعد عي بياناً = محاولة الخروج منها.

وأنتم إلى امام عاقل = الحلول لمواجهة الأزمة والخروج منها.

أحوج منكم إلى امام قائل = حسن التخطيط الذي مضى من خلال ما قدمه المبدع من معالجات إلى حصر المشكلة والنهوض طارحاً السلوك الادائي الذي ينبغي على المسؤول (خليفة كان أم أميراً أم غير ذلك) مقدماً صورة واضحة لنمطين عُرفا في سياسة الحكم سياسة الأقوال وسياسة الافعال، فارضا حضوره من خلال هذه المعادلة التي أطرت ثنائية التعامل بطريقة اعادت مسار الامور إلى المتكلم، فبلغ ذلك (عمرو بن العاص) فاستحسنه، تثبيتاً لنجاح حسن التخلق الذي تلمسه ابن العاص من لدن يزيد، فلم تقلل أزمة المواجهة من شخص يزيد مع أنّه أحس بوطأتها معبراً عنها بقوله (عسر = عيّ) وفاتحاً امامه أبواب الأمل بوصفه قيادي قد اتقن ما عليه من مهام (يسرا = بياناً) فهي أزمة (عيّ) جعلت الموقف عسيراً عليه، ولم تمنعه هذه الأزمة من اعطاء صورة كاملة ومنسقة لنصه الذي جاء مكثفاً بالايحاءات والدلالات التي اعطت للنص صورته البليغة فوصلت إلى ابن العاص واستحسنها.

لقد تلمسنا مثل هذه الأزمة حتى في العبادات فلا شك أن الجميع يدرك ما قد يحدث للإمام في صلواته، وحين نقول (الامام) فإننا بالضرورة نشير إلى صلاة الجماعة حين يؤم الفرد الجماعة فقد يغلق عليه لسبب أو لآخر فيسهو في صلاته حتى يفقد جزءاً من ادائه في الصلاة مما يوقعه في أزمة آنية لاسيما حين يتدارك الموقف من يأتَّم به.

ورد في المعاجم العربية مادة (رتج) بمعان ومدلولات عدة فـ((الرَّتَجُ والرِّتاجُ: البابُ الْعَظِيمُ؛ وَقِيلَ: هُوَ الْبَابُ المُغْلَقُ. وَقَدْ أَرْتَجَ البابَ إِذا أَغلقه إِغلاقاً وثيقا وقيل: الرِّتاجُ البابُ المُغْلَقُ وَعَلَيْهِ بابٌ صَغِيرٌ، وأُرْتِجَ عَلَى الْقَارِئِ، عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، إِذا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْقِرَاءَةِ، كأَنه أُطْبِقَ عَلَيْهِ كَمَا يُرْتَجُ البابُ؛ وَكَذَلِكَ ارْتُتِجَ عَلَيْهِ، وَلَا تَقُلِ ارْتُجَّ عَلَيْهِ، بالتشديد))[1] ،فيتضح من المدلول اللغوي للفظة (أُرْتِجَ) أن هناك سبباً لذلك، عبَّرت عنه معاني هذا الفعل وانتقلت إلى ميدان التعبد فكان إذا أُرْتِجَ على الامام أو غلط او نابه شيء في صلاته سبَّح الرجل، وصفقت المرأة[2].

(١) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، ٥١٠/١، لسان العرب لابن منظور: ٧٣/٢.

(٢) شرح العقيدة الواسطية : ٨/٢.

فقد قارب بين (أُرْتِجَ = غلط = نابه شيء)، وليس هذا تخبطا إنما فعل بشري طبيعي يقتضي ردة الفعل من المتلقي سبَّح الرجل (قال سبحان الله) وصفقت المرأة، فهي وقفة من المتلقي لفض تلك الأزمة التي وقع فيها الامام (مرتجلا في صلواته) من غير نص مكتوب معتمداً على ذاكرته القائمة على الحفظ (النص الشفاهي) التعبدي.

وفي ذلك يعرف الفقهاء ((الاغلاق: احتباس الكلام عند المتكلم، فيقولون إن أغلق على الامام =أي أُرْتِجَ عليه، فلم يتكلم في القراءة في الصلاة ركع ان كان قد قرأ القدر المستحب))[١] . فقد دل الفعل المبني للمجهول (أُغلق) ما دل عليه الفعل (أُرْتِجَ) المبني للمجهول أيضا ولعل للبناء للمجهول في هذا الموطن فلسفة نفسية تحيلنا إلى عوالم احتباس النص الشفاهي لدى المتكلم، وهي معان مجازية انتقلت من حقلها المادي إلى حقلها المجازي فـ (أُرْتِجَ = أُغلق = أُطبق عليه)، كما يرتج الباب أي يغلق.

وفي الحديث أن النبي (ﷺ) "صلَّى صلاة فالتبس عليه، فلما انصرف قال لعمر: أحضرت معنا؟ قال نعم قال فما منعك أن تفتح علي" وهي اشارة نبوية دقيقة ووصف متقن لحال الامام الذي لابد على السامع فرضا أن يتدارك مثل هذا الموقف ان حدث (ما منعك) ؟! ومثل هذا النص وجدناه في سيرة ابن عفان (ﷺ) حتى غدا هذا النص ثابتة من ثوابت تجاوز مثل هذه المواقف وقد نقلت المصادر أن عثمان (ﷺ) أُرْتِجَ عليه المنبر فقال: ((انتم إلى امام فعَّال أحوج منه إلى امام قوَّال)) ثم نزل[٢]، فقد أدت هذه المقولة فعلها الناجح في تسيير الامور ويقف التاريخ عاجزاً أمام هذه الحالة إن حدثت من شخص الرسول (ﷺ) فهو (ﷺ) ما ينطق عن الهوى، وهو من أوتي جوامع الكلم، لكن ذلك لا يعارض بشرية النبي (ﷺ) التي جاءت لتسن للعالمين السنة وتوضح أمامهم سبل العيش وهو ما يوضح وقوع هذه الحالة الانسانية التي عرفت المسلمين كيفية الخروج من هذه الأزمة.

لذلك يسكت الحجاج الذي عرف بشخصه وشدة بأسه فينقل لنا التاريخ حادثة تنسب اليه جاءت في قوله[٣]: ((قال الحجاج وقد أُرْتِجَ عليه، قد هالني كثرة رؤوسكم وإحداقكم إلى بأعينكم)) والصواب تحديقكم إلي، ويمضي شارح التفسير قدماً بعد أن استضاف هذا النص، الذي نجهل ان حاولنا جاهدين البحث في التاريخي للكشف عن الحقيقة، إلا أنه سجل بعداً نفسياً آخر تمثل في قوله: قد هالني كثرة رؤوسكم، فلربما يؤدي المشهد الذي جاء في قوله

(١) المفصل في شرح آية لا اكراه في الدين ١/ ١٣٧.

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٢/ ٢١٦.

(٣) المبسوط ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، تح: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ، بيروت– لبنان،١٤٢١هـ ٢٠٠٠م :٢/٥٥.

(كثرة رؤوسكم) إلى احتباس الكلام لدى قائله لاسيما أنه عبر عن ذلك بقوله :(قد هالني) ، وقد أبدع هذا الفعل التعبير عن هذه الصورة. لأن المشهد يكشف عن عيون متوقدة إزاء من يحاول بث شفرته الشفاهية لتصل إلى الجميع متخطياً بذلك تلك النظرات أو متجاهلا لها كي يستوي المشهد متكاملاً في التعبير عن فكرة (ما) وقعت في ذهن القائل.

وقد لا يتسع المقام لطرح كل الحالات التي سجلها التاريخ ،فهي بالضرورة بحاجة إلى استقراء أعمق وقراءة تحليلية ذات بعد نفسي تتقن أو تحاول أن تتقن الرؤية وصولاً إلى الكشف عن هذه الأزمة التي قد تتطور لدى البعض ممن يخشى المشهد الشفاهي للنصوص، وقد تولد لديه (فوبيا نصية) تستحيل معلماً سلوكياً يقترن به، لذا سنكتفي بهذا القدر من الطرح محاولين بذلك فتح باب القراءة والتأمل لمثل هذه الظواهر النفسية، والتاريخية في دراسة أكثر اتساعاً وشواهد أكثر شمولية تأخذ على عاتقها قراءة التاريخ شعراً كان أم سيرة، ام تفسيراً، ولمّ ما تناثر في بطون الكتب من احالات نصية كفيلة بالتعبير عن هذه الظاهرة التي اطلقنا عليها (أزمة المواجهة) مؤكدين وجود هذه الأزمة التي فرضت حضورها على الواقع.

النص القديم بين الشفاهي والكتابي:

لا غلو إن قلنا ان ثمة أزمة تدور حول النص الأدبي القديم ، وعلى الرغم من كثرة الدراسات النقدية التي وصلت الينا الا انها حملت في طياتها تناقضا بدا واضحا من اختيار المنهج التاريخي للفصل في ادبية الأدب العربي ، ولا سيما تلك الدراسات التي سادت القرن الماضي متمثلة بكتابات شوقي ضيف وهيكل ومن سار على نهجهم ، ولا نزعم اننا نحط من شأن تلك الدراسات ، غير أنها اخفقت في بيان النوع الأدبي الذي يعطي النص مكانته بين النصوص؛ ولأنّ الذائقة العربية كانت تنزوي إلى الشعر وتبتعد عن النثر ؛ لذا حظي هذا الاخير بعناية الباحثين وكان الأول مدار النصوص التاريخية التي نهلت منه نفعيته على حساب جماليته، وهي اشكالية اخرى عانى منها الأدب العربي القديم الذي وقع بين الجمالي والنفعي ، ان الشفاهية صادرت ادبية النص وحولته إلى ما يشبه الخبر او الرواية او الحكاية بمنظورها القائم على نقل الفكرة ونسيت الفكرة كاملة وإنّما خلاصة الفكرة ، فتحولت النصوص الأدبية ولاسيما الشعرية إلى مجموعة من الاخبار والمعلومات تناقلتها الكتب وتناقلها الرواة ليحتفظوا بالمنظومة على حساب النص ذاته ،وقد ناقشت المصادر هذه المسألة تحت ذريعة الحاجة هي التي ولدت تلك العناية بالشفاهي على حساب الكتابي، فضلا عن كثرة تنقل

العرب وحياتهم القائمة على الارتحال ومن ثم انشغالهم في عصر صدر الاسلام باستقبال الدين الاسلامي وفهمه ونشره(١).

ومع ما في هذه الآراء من غلو في أحيان كثيرة إلا أنّنا نتقبل أغلبها؛ لعجزنا عن اثباتها أو نفيها، وما سنركز عليه في دراستنا هو ما استقر من الشفاهي من أخبار دونت وتناقلتها الكتب؛ لذا سنراعي ان النص لم يعد نصا بكرا وانما تحكمت فيه عدة ذوات وسيطرت عليه متغيرات كثيرة كما ذكرنا، وسنعمد إلى اعتماد هذه النصوص واستقبالها وتحليلها والنظر في مناسبة النص، وما يسبقه من خبر أو ما يليه؛ لأن هذه المعلومة اصبحت جزءا من جسد هذه النصوص، وكادت ان تتحكم بها وتتدرج معها لتصبح جزءا أساسا من بنية النص الأصلي.

إنّ مناسبة النص هي أحد أهم المفاتيح في تحليل النص وقراءته، وتعمد المناسبة . التي تحمل الطابع النفعي للنص . إلى تسليط الضوء على المعلومة ولا سيما فيما يتعلق بالنصوص النثرية؛ لذا ظهرت أمام النص الأدبي النثري القديم إشكالية أخرى وهي إشكالية ضياع النصوص، ووصول معظمها على شكل مجتزءات، إذ يعمد الراوي المنبثق عن الذاكرة العربية إلى نقل المعلومة التي تشكل بؤرة النص وقوامه فوصلت الينا نصوص اقرب إلى الفكرة منها إلى النص أي ركزت العقلية العربية على الأفكار بصرف النظر عن ما لاقاه النص من تشويه بسبب ذلك ،فعلى سبيل المثال لا الحصر جاءت معظم الخطب مبتورة المقدمات خالية من المقدمة التي هي جزء أساس من تكوين الخطبة كما ذهب إلى ذلك ارسطو في كتابه الخطابة(٢) فضلا عما جاء لدى فلاسفة العرب من تقسيمها إلى مقدمة وعرض وخاتمة وهنا انتقالة مهمة إلى ما يولده هذا التجزيء من تأثير سلبي في شكل النص ؛ لذا فقد غابت هوية بعض النصوص وتداخلت مع ما يقاربها من أنواع نثرية ،وهو ما يؤثر سلبا في ما يسمى أجناسية النص النثري التي لاقت هي الأخرى غبنا في النتاج الأدبي إذ القديم تداخلت الرسالة بالوصية وربما الخطبة تداخل المثل مع الحكمة غير ذلك من امور لا يتسع المجال لطرحها(٣).

---

(١) الخطيب البغدادي بين الشفاهية والكتابية من خلال كتابه (تقييد العلم) ، د. محمد رضا خضري، مجلة جامعة دمشق ، مج ٢٩ ، ع ٣ . ٤ ، سنة ٢٠١٣م : ١٠١– ١٠٢.

(٢) الخطابة ، ارسطو ، ترجمه عن اليونانية وشرحه وقدم له : الدكتور عبدالرحمن بدوي ، وزارة الثقافة والاعلام . الجمهورية العراقية . دار الرشيد للنشر، ط١، ١٩٨٠م : ٣٣.

(٣) وقد سبق ان تحدث الدكتور عبد الله إبراهيم عن هذه المسألة في مقدمة كتابه: النثر العربي القديم بحث في ظروف النشأة وأنظمة البناء.

إنَّ مسيرتنا في هذا البحث يلتحفها الحذر الشديد من نوع هذه الاشكاليات التي طرحناها ولا نبالغ إن قلنا إنَّ دراسة النصوص الأدبية القديمة في العصرين الجاهلي والاسلامي وصولا إلى عهد التدوين بشقيه نثرا كان أم شعرا دراسة لا تخلو من مغامرة ؛لذا سنستعين في دراستنا بالنقد النصي القائم على قراءة النص وفهمه وسبر اغواره بكل ما يقدمه هذا السبر من فهم لما وصل الينا من هذه النصوص التي عُدَّت مدونات مكتوبة بغض النظر عما فيها من تشويه ونقص(١).

تتصدر بعض كتب الأدب والبلاغة وربما السير عناوين مثل: (كلام من أُرْتِجَ عليه) ولنا وقفة مع الفعل (أُرْتِجَ) وتقلباته التي تقترب من دلالته التي تدور في فلك الشفاهي الذي تحدثنا عنه.

أورد ابن قتيبة في عيون الأخبار مجموعة من المشاهد التي سنقف عند بعضها لنعاين حركة الشفاهي مع المكتوب وتعالق الخطبة لدى الخطيب مع الجمهور وما احتضنته الحادثة التاريخية من تأطير لهذه المقاربة، يقول ابن قتيبة: ((حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا عيسى بن عمر قال: خطب أمير مرّة فانقطع فخجل، فبعث إلى قوم من القبائل عابوا ذلك ولفّهم، وفيهم يربوعيّ جلد، فقال: اخطبوا؛ فقام واحد فمرّ في الخطبة، حتى إذا بلغ أما بعد قال: أما بعد أما بعد، ولم يدر ما يقول، ثم قال: فإنّ امرأتي طالق ثلاثا، لم أرد أن أجمع اليوم فمنعتني)).(٢)

تبدو أزمة مواجهة الجمهور والوقفة بين أيديهم ومهابة ذلك الموقف الذي أُرْتِجَ كلام الخطيب عليه بسببه (حتى اذا بلغ اما بعد قال اما بعد اما بعد ولم يدر ما يقول) ولا يخفى على من اطلع على تقسيمات الخطبة العربية عامة والإسلامية وصولا إلى يومنا هذا أنَّ الخطيب اذا وصل أمّا بعد فقد تجاوز أول ركن من الخطبة وهو المقدمة وعادة لا تقدم المقدمة ما يتفق ومحتوى الخطبة اذ تشكل بنيتها الاستهلال لنص الخطبة بعيدا عن مضمونها(٣)، وربّما اقتصرت على الحمد والثناء في النص الاسلامي فقوله :(اما بعد اما بعد) قطعت سير عملية التواصل التي تحدث عنها ياكوبسون وعند هذه العبارة (اما بعد) التي تكررت ينتهي النص ويفقد الخطيب تواصله مع جمع المستمعين وهو موقف سببه النص الشفاهي الذي

(١) ينظر: النثر العربي القديم بحث في ظروف النشأة وأنظمة البناء، الدكتور عبد الله إبراهيم:٧٩.

(٢) عيون الأخبار:٢/٢٧٩ .

(٣) الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير،ط١ دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٣:١٥ .

يعتمد على تهيئة ما يريد الخطيب قوله ومن المفارقات الطريفة التي شكلت صورة النص ورسمت ردة فعل الخطيب قوله في محاولة منه لاستدراك عجزه ((فان امراتي طالق ثلاثا ....)) ، وهي لا شك تعكس عمق أزمة الخطيب في معالجة الموقف.

وفي موقف آخر ((صعد ثابت قطنة منبرا بسجستان فحمد الله ثم أُرْتِجَ عليه، فنزل وهو يقول: [طويل]

فإلّا أكن فيكم خطيبا فإنّني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب

فقيل له: لو قلتها على المنبر كنت أخطب الناس))[1] ،ولم يستطع ثابت معالجة الموقف ، وهو ما نتحدث عنه من أزمة قد تكون نفسية لا تصدر عن عيب أو عجز مادي لدى الخطيب وانما شدة الموقف اصابت منه فقال : البيت الشعري الذي حقق للنص هويته وللخطيب جدارته التي غابت عنه لصعوبة الموقف فما كان من جمع الحاضرين الا ان قالوا : لو قلتها على المنبر كنت اخطب الناس ، وهي مقولة تثبت مدى اخفاقة الخطيب عن مواجهة ذلك الموقف فكان نزوله سببا في اخفاقته وعدم قدرته على مواجهة ذلك الموقف ، وهي التفاتة ذكية من الحاضرين في ربط القول بالموقف ، فكان نزوله من المنبر سببا في اكتمال مشهد العي والعجز الذي وقع فيه ، فحالت هذه اللحظات من جدارته وقدرته على تعديل مسار الموقف وتحويل النص إلى نص يرقى إلى الكمال النصي فتصبح صورة النص كالآتي:

الحمد لله ← مقدمة الخطبة وانتمائها إلى النص الاسلامي

اما بعد ← انتقاله إلى النص

فإلّا أكن فيكم خطيبا فإنّني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب← (النص)

فينتقل الموقف من أزمة حقيقية إلى نص مختصر بليغ يحقق للخطيب حضورا واعيا قائما على تحويل الكلام إلى صورة من صور الشجاعة والبطولة قدمها البيت الشعري، فتعطي طابعا حماسيا فضلا عن تبرير غياب الخطيب ليحل محله الفارس؛ لذا كان رد الحاضرين (لو قلتها ← كنت اخطب الناس) في اشارة إلى فهم نمط وصورة من صور الخطب القائمة على التعبير المختصر البليغ.

إنَّ البعد النفسي الذي يقف وراء سكوت القائل وما يخلفه هذا السكوت من اثر واضح على المتلقي لا يقف عند حدود هذا التأثير النفسي الذي سجل ردة فعل متباينة بين المتكلمين او القائلين او مبدع النص ومنشئه ، اذ امتدت آثار ذلك السكوت وتلك الأزمة حتى اصابت من النص نفسه فغيرت صورته ووجهه وانتماءه ، لقد تنبه القدامى بذكاء إلى مثل هذا الامر، اذ وجدنا في كتبهم مصطلحات لم يقف عندها المحدثون وقفة نقدية متأنية

(١) عيون الأخبار:٢/٢٨٠ .

ولسنا في صدد افراد مكان لها في بحثنا الا اننا ارتأينا عرض صورة من صور التفاتة القدامى والتي جاءت في كتب عديدة منها كتاب الكامل في اللغة والأدب ، اذ افتتح المبرد في صدد حديثه عن مأثور العرب من الاقوال والخطب والحكم قال : ((كلمة يزيد بن ابي سفيان حين أُرْتِجَ عليه)، وجاء عند ابن قتيبة قوله في عيون الأخبار : (كلام من أُرْتِجَ عليه) ، إنَّ لفظة (كلمة) او (كلام) او غيرها من المعادلات اللفظية كانت ملاذا للقدامى في الخروج عن دائرة هذا النص الشفاهي الذي سكت عنه المرسل ، واعاقه سبب ما من اكماله فقول المبرد (كلمة يزيد حين أُرْتِجَ عليه) تعادل لفظة كلمة = خطبة يقول : وحدثت أن ابا بكر . رضي الله عنه . ولى يزيد بن أبي سفيان ريعا من ارياع الشام ، فرقي المنبر فتكلم فأُرْتِجَ عليه ، فاستأنف فأُرْتِجَ عليه فقطع الخطبة فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عيي بيانا وانتم إلى امير فعال احوج منكم إلى امير قوال))[١].

وهي اشارة إلى المغايرة النصية التي جاءت في قول يزيد بن ابي سفيان والتي استحسنها عمرو بن العاص حين وصلت اليه، ويلحظ ان هذه الكلمة اصبحت معادلا فنيا وموضوعيا للخطبة ولاسيما أنّ الخطيب استدرك عجزه في الخطبة بقوله (سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عيي بيانا وانتم إلى امير فعال احوج منكم إلى امير قوال).

إنّ نص الخطبة يمتلك بعدا ادائيا لا مناص من الشفاهية عنه، فهو نص حضوري شكل بنيانه الحضور والمنبر اللذان يعدان من مقومات نجاحه ولا اتحدث عن مهنية هذا النص قدر ما ارغب في الحديث عن تقاناته، وأعني خطورة هذه اللفظة (تقانة)؛ لأنّها تشكل ملامح اكتمال الخطبة (واستوائها) نصا له خصوصيته التي تميزه عن بقية النصوص النثرية القديمة، وسنعالج ذلك في النص الآتي لنسلط الضوء على هذه التقانة صعد ثابت قطنة منبرا بسجستان فحمد الله ثم أُرْتِجَ عليه فنزل وهو يقول (البيت الشعري):

فان أكن فيكم خطيبا فإنَّني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فقيل له: لو قلتها على المنبر لكنت اخطب الناس[٢].

لقد شكل حضور المنبر في نص الخطبة تقنية أساسية لعده نصا جماهيريا تراثيا حافظ على حضوره، ويعد غياب المنبر كسرا لهذا النص؛ لأنّ سمات اكتماله ان تجتمع فيه أمور أساسية هي:(المنبر / الخطيب / النص / الحضور)؛ لذا فلنقف عند قول الحاضرين لثابت: (لو قلتها على المنبر كنت اخطب الناس).

---

(١) الكامل في اللغة والأدب:١/٨٤ .

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ٣/ ٣٥٤.

إنَّ التحليل الحضوري لهذا النص يعني فرز ملامح صورة كل ما يسمى (خطبة) ؛ لأن هذا القول يكشف وعي العرب بهذا الجنس الأدبي الإعلامي الذاتي الذي اكتسب شعبية ارتبطت ثقافة امة كاملة لم يلبث الإسلام أن جعل قيمته تعلو حين أصبحت الخطبة معلما بارزا من حياة المسلم ؛ لذا فإنَّ العربي كفيل بأن يميز ما هو جيد عما هو رديء وقادر على إعطاء الحكم المناسب للمواقف التي تعرض امامه فقولهم: لو قلتها على ((المنبر)) ادراك لحقيقة ان البلاغة الادائية هي التي تحقق الحضور الاجناسي للخطبة وهي التي تعطي هذا النص هويته فلا قيمة لكلمة ان نزل الخطيب من على المنبر ؛ لذا تحول الخطيب (من/إلى) فاصبح معيار الجودة قائما على حضور المنبر وارتقائه من الخطيب ، وهي مسألة أساسية في الطرح الذي نحن في صدده اذ لم يكتف الموقف بتسجيل أزمة الخطيب وإنَّما اخرجته هذه الأزمة إلى ميدان الحكم على مدى اجادته وعده (اخطب الناس).

ومن هذا الموقف تنقل المصادر لنا نصا اخر يؤكد هذا المشهد ويوثق عد المنبر تقنية الخطبة جاء في: **(وأُرْتِجَ على مَعْن بن زائدة فضرب المنبر برجله، ثم قال: "فتى حُرُوب، لا فَتَى منابر")**[1].

تبدو هذه العبارة على صغرها عالما ممتلئا بالدلالات فالمعادلة أصبحت لدى معن بن زائدة

فتى حروب ✕ فتى منابر

لذا حاول الهروب من عجزه عن أداء النص الشفاهي الذي سينقل ملاح المتكلم ليصل إلى الحاضرين والذي سيكشف مدى تمكن الخطيب ومقدرته ونجاحه في مواجهة هذا الموقف فاعلن عن عجزه بإثبات شجاعة وبسالة الفارس في ارض المعركة وكأن لسان حاله يقول ويصرح بان ارتقاء المنبر يعادل خوف المعركة لذا جاء فشله في تحقيق حضوره بارتقاء المنبر محللا ذاك الفشل بقوله فتى حروب لا فتى منابر وكأن معيار الشجاعة يلزمه بالإعلان عن بطولاته في ارض المعركة لتحل بديلا عن فشله في بطولة الكلمة التي يرتقي من خلالها منبر الخطبة ويصبح بطلا من نوع اخر وفي موقف اخر يصبح المنبر معادلا (للمركب الصعب) صعد عدي بن ارطأة المنبر فلما رأى جمع الناس أُرْتِجَ عليه فقال : الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم ثم نزل وصعد روح بن حاتم المنبر فلما رأى الناس قد اصغوا اليه بأسماعهم ورمقوه بأبصارهم قال نكسوا رؤوسكم وغضوا ابصاركم فإنَّ المنبر مركب صعب واذا الله يسر فتح قفلا تعسر ثم نزل[2].

في هذا النص تجتمع تقانة المنبر الذي اكتسب حضوره في تعالقه مع الجمهور (جمع الحاضرين)؛ لأنه كان سببا في عجز الخطيب عن تقديم خطبته لقد كانت نظرات

---

(١) عيون الأخبار:٢/٢٨٠ .

(٢) غرر الخصائص الواضحة : ٢٢٤.

الناس وحضورها وانصاتها سببا في عجز الخطيب عن القاء خطبته وجاء النص ليعلن هذا العجز يقول : (نكسوا رؤوسكم وغضوا ابصاركم) فكانت النتيجة الحتمية للموقف (فإنَّ المنبر مركب صعب) إنَّ صعوبة الموقف الذي مر به الخطيب تجعلنا نطرح معالجة شكل غيابها سببا رئيسا في ضياع النصوص التي لم تصل الينا (واعني بذلك) الكتابة والتدوين التي تعد منفذا وملجأ يتخذه الخطيب للهروب من وطأة وصعوبة الموقف الذي تقتضيه الخطبة فقوله (نكسوا / غضوا) ما هو الا ردة فعل إجرائية اخذت صورة الامر الصادر (من / إلى) والا فإنَّ الخطيب (معن) عجز عن مواجهة الجمهور (ثاني تقنية أساسية لإنجاح الخطبة) ولعلها الأولى بالمكانة والأولى بالاهتمام.

إنَّ غياب الجمهور يعد نقصا في اكتمال صورة هذا النص، ولا تتضح هذه المسألة الا ان ساندتها الحقائق التاريخية التي نقلت بحرفية كاملة صورة هذا النقص.

إنَّ تكامل هذا النص يقتضي وجود عوامل لإنجاحه وهي:

. الحضور بالفعل والأداء والكلمة واللغة ← المتكلم

. الحضور بالإصغاء والتركيز والانصات ← المتلقي

. التعالق بين الكلمة والسماع بين الرسالة والمرسل اليه (بين مرسل النص والمرسل اليه).

ويروى أن أول خطبة خطبها عثمان بن عفان (ﷺ) أُرْتِجَ عليه فقال: (أيها الناس إنَّ اول كل مركب صعب، وان أعش تأتيكم الخطب على وجهها، وسيجعل الله بعد عسر يسرا، إن شاء الله)، فالمنبر (المركب صعب) الذي اعتاد الخطباء على وصفه بهذا الوصف وهم يقدرون صعوبة ذلك المركب الذي عاينته شخصياتهم ومرت به.

ومن الالتفاتات الطريقة والدقيقة أن أكثر من موقف لأكثر من خطيب وشخصية قدموا لنا معالجة للموقف متكررة تتجه صوب العدل هروبا من الكلمة وكأن الشجاعة التي اعتادوا عليها في ارض المعركة تغني عن شجاعة القول والكلمة وينسب النص الآتي الذي كان حصيلة لعجز عن مواجهة الحضور (جمع المستمعين)، وهو قولهم: (وانتم إلى امام فاعل (او عادل)، احوج منكم إلى امام قائل) ، وهي كلمة جاءت على لسان أكثر من خطيب أُرْتِجَ عليه ولم يعد يقوى على ملأ المنبر وارتجال الخطبة ، وهنا ننوه إلى إشكالية النص الشفاهي الذي تناقله الرواة وتناقلته المصادر التاريخية والأدبية والسيرية ، فنسبة النص إلى أكثر من قائل معضلة أخرى واشكالية وقع فيها النص الشفاهي حين انتقل من شفاهيته إلى الكتابة في عصر التدوين، وهذا الحال يستوي فيه الشعر والنثر في تلك العصور المنصرمة حتى وقت متأخر من عصر التدوين.

إنَّ اللغة كفيلة بالحفاظ على النصوص عبر تدوينها، والعجز في هذه المواقف يؤكد توثيق حالة إنسانية للخطيب قد يتعرض لها كلّ من يرتقي المنبر ويواجه الحضور ومثل ذلك

ما نقل الينا من قولهم: (صعد أبو العباس السفاح المنبر، فأُرْتِجَ عليه فقال: "أيها الناس، إنَّ اللسان، بضعة من الإنسان، يكل إذا كل، وينفسح بانفساحه إذا فسح، ونحن أمراء الكلام، منا تفرعت فروعه، وعلينا تهدلت غصونه، ألا وإنَّا لا نتكلم هذرًا، ولا نسكت إلا معتبرين" ثم نزل، فبلغ ذلك أبا جعفر، فقال: "لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر، لكان من أخطب الناس) [١]، ولا نبالغ أن قلنا إنَّها حالة إنسانية استمرت حتى يومنا هذا ولا سيما أولئك الذين ما اعتادوا على تدوين احاسيسهم أو مواقفهم ،فالارتجال قد يعني في جزء منه مهم انه مهارة وقدرة على المواجهة ؛ لذا تحدث القدامى عن وجود شروط عدة ينبغي أن يتحلى بها أو يوصف بها من يعتلي صهوة الكلمة ولا يعني بذلك النص الشفاهي القديم وحده شعرا أم نثرا وإنّما استمرت المأساة حتى يومنا هذا مع نصوص المحافل التي تقتضي ان يقف صاحب النص ليلقي نصه غير متناسين صعوبة هذا الموقف حتى في عصر التدوين لانتشار مجموعة من الاعراف ينبثق من خلالها نص شفاهي ، إنَّ الوقوف أمام جمع من الحاضرين يشكل مخاضا للنص وولادة ، واعني بدقة استعمال هاتين اللفظتين فالنص لا يولد من فكر منشئه وإنَّما يمر بالموقف (Semon) والموقف يصيغ أو يعيد صياغة ذلك النص الذي لم يعد خزين فكر منشئه وإنَّما يقع تحت سلطة المتلقين الحاضرين .

وقد يبدو الامر اكثر وضوحا حين نقرأ ما نقله التاريخ من نصوص قراءة نفسية آنذاك سندرك صعوبة الموقف الذي أصاب مرسل النص ، وما دمنا في الحديث عن فاعلية المنبر في رسم صورة نص الخطبة ، وما دمنا نرى ان شخصية المتكلم تعكس سلوكها عبر ردة الفعل التي تصدر عن عجزه عن مواجهة النص فإنَّنا ندرك حقيقة ان السلوك البشري يتشكل في هذا الموقف على وفق السمات الشخصية للمتكلم ، (أُرْتِجَ على معن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال : فتى حروب لا فتى منابر)[٢]، قد تبدو هذه الحادثة التي نقلها التاريخ بوصفها معلومة عابرة حادثة وثائقية ، لكن القراءة النفسية تكشف عن ردة فعل واضحة سجلت سلوك معن ابن زائدة حين ترجم سلوكه وردة فعله في عبارة موجزة : (فتى حروب لا فتى منابر) اذ يعمد إلى طرح المعادلة السابقة من جديد وبتعبير اخر عندما يجعل المعركة على الطرف الاخر من المنبر وتصبح المعادلة قائمة على الربح الجسدي المادي المنبثق عن الشجاعة القتالية الادائية امام فشل ادائي عجز عنه معن ،وهو فشل مهاري لا يقل شأنا عن النصر المزعوم في ذاكرة العاجزين عن مواجهة المنبر ، وهنا يسقط المتكلم احساسه بالهزيمة

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة الباب الخامس في خطب من أرتج عليهم:٣/٢٩٩.

(٢) سبق ذكره، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة :٣/ ٣٥٤.

ليسترجع بطولاته وذكرياته في ساحة المعركة ، وكأن لسان حاله يحاول اقناعنا أن النصر الحقيقي هو السيف لا الكلمة.

ومن صور الاسقاط الأخرى التي اعتمدها الخطباء للهروب من وطأة الموقف ما نقله التاريخ الينا، والذي يتمثل في النص الاتي: (وكان عبد ربه اليَشْكُرِي عاملا لعيسى بن موسى على المدائن، فصعد المنبر، فحمد الله وأُرْتِجَ عليه، فسكت ثم قال: "والله إنَّي لأكون في بيتي فتجيء على لساني ألف كلمة، فإذا قمت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فمَحَاها من صدري، ولقد كنتُ وما في الأيام يوم أحَبُّ إليَّ من يوم الجمعة، فصرتُ وما في الأيام يومٌ أبغض إليَّ من يوم الجمعة، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه)[١] ،اذ يصور لنا المتكلم حقيقة هذا الموقف في قوله الذي افتتحه بالقسم :(والله ...) والطريف في الامر ان الخطيب (المتكلم) وفقا للحادثة السابقة قد انتج نصا وصل الينا ، لكنه نص لا ينتمي إلى الخطب ، نص عبر عن الألم النفسي الذي يقع فيه الخطيب عندما يغلق عليه ، وتنطفأ اللغة وتصبح عاجزة عن إنقاذه ، اليشكري انتج نصا يحاكي ذلك الموقف ولم يستطع أن ينتج نصا ينتمي إلى الموقف ذاته ؛ لذا فالنص البديل انطلق من اللغة ذاتها وقدم أدوات اللغة لكنها لغة ابتعدت عن مسار الخطبة لذا اعلن عجزه عن مواجهة هذا الموقف على الرغم من تمكنه ووعيه وقدرته على منح نفسه فرصة الخروج من مأزق النص خروجا لم يكن موفقا اعلن عنه بقوله (ولقد كنت وما في الأيام يوم احب الي من يوم الجمعة (مواجهة) فصرت وما في الأيام يوم ابغض الي من يوم الجمعة (عجز) وما ذلك الا لخطبتكم هذه (النص) .

وتبدو هيبة ذلك الموقف واضحة في نص نقل الينا تفاصيل ذلك وأعطى إشارة واضحة في نصه تعبر عن ذلك الموقف (وصعد روح بن حاتم المنبر فلما رأى الناس قد أصغوا إليه بأسماعهم ورمقوه بأبصارهم قال: نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم فإن المنبر مركب صعب)[٢]، وهو نص يكشف بصراحة حقيقة الأزمة القائمة على مواجهة فكانت الرؤوس المرتفعة والابصار الشاخصة المترقبة عقبة امام المتكلم حالت دون إنجازه الخطبة ؛لذا ما كان منه الا ان قال نكسوا رؤوسكم وغضوا ابصاركم وهي فرصة للهرب من نظراتهم التي تلاحقه والتي انبثقت عن النص الشفاهي وان كان قد عبر عنها (الأزمة) بوصفها الأولى له (وإنَّ اول مركب صعب) الا انها أزمة فعلية عبر عنها اخرون مع امتداد الخطب والموقف الذي يمر فيه الخطيب (قيل لعبد الملك عجل عليك المشيب، فقال كيف لا يعجل علي وانا اعرض عقلي على الناس في كل جمعة) يبدو الوصف موغلا في التعبير اذ افاد القائل من

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ٣/ ٣٥١.

(٢) غرر الخصائص الواضحة: ٢٢٤.

التغيير الإنساني المادي الذي أصابه ليترجم صعوبة المواجهة التي يمر بها في كل جمعة ، لقد استطاع النص التاريخي الاحتفاظ بهذه المواقف التي تحيلنا إلى عالم النص الشفاهي بما فيه من متغيرات وصعوبات قد لا يتسنى التعبير عنها من غير المرور بالحادثة التاريخية التي دونت تلك المشاهد ، واستوت بما رأيناه من مناسبة النص .

الخاتمة

لعل من الضروري التنويه إلى مسألة أساسية وهي ان هذا العجز لا يحول دون الاعتراف بمقدرة الخطيب وابداعه؛ لأنها مواقف إنسانية تضافرت أمور عدة في تشكيلها، ولا يعد قدحا او عيبا في شخص المتكلم الا إذا أصبح هذا العجز خلقا وسمتا أساسيا لا يغادر صاحبه، آنذاك لا حيلة من وصفه بالعجز التام الذي يعادل الفشل المهاري والادائي وعدم القدرة على مواكبة ومجاراة النص مما يولد أزمة حقيقية لا مناص من الاعتراف بها ولا يمكن مواجهتها ونحن غير معنيين في بحثنا بالحديث عنها.

ثبت المصادر

- الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٣.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية بيروت–لبنان.
- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر –بيروت.
- الخطابة، ارسطو ، ترجمه عن اليونانية وشرحه وقدم له : الدكتور عبدالرحمن بدوي ، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، ط١ ، ١٩٨٠م.
- الخطيب البغدادي بين الشفاهية والكتابية من خلال كتابه (تقييد العلم) ، د. محمد رضا خضري، مجلة جامعة دمشق ، مج ٢٩ ، ع ٣ . ٤ ، سنة ٢٠١٣م .
- شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية ،محمد بن خليل حسن هرّاس (ت١٣٩٥هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع – ط٣، ١٤١٥ هـ.
- عيون الأخبار أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت،١٤١٨ هـ.
- غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، أبو إسحق برهان الدين محمد ابن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (ت ٧١٨هـ)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٩ هـ –٢٠٠٨ م.
- قضايا الشعرية ، رومان ياكوبسون ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون ، ط١ ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء . المغرب ، ١٩٨٨م.
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)،تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر العربي – القاهرة،ط٣ ،١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ –١٤٠٧ هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة –١٤١٤ هـ.

- المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، تح: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان .١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت : ٣٣٣هـ)، تح:أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، ١٤١٩هـ.
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢ ،٢٠٠٨ م . ١٤٢٩ هـ.
- النثر العربي القديم بحث في ظروف النشأة وأنظمة البناء، الدكتور عبد الله إبراهيم، جامعة السابع من أبريل، بنغازي، الطبعة الأولى ١٤٢٥ ميلادي.
- الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، ط ١، د. احمد بسام ساعي، دار المنارة السعودية . ١٩٨٥م:١٩.